﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝٢٣﴾ [الجن: 22 - 23]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

بيانٌ لعجزِه ﷺ عن شؤونِ نفسِه بعد بيانِ عجزِه عن شؤون غيرِه

لمّا ذكرَ النبي عجزه عن أنْ يملكَ لغيره ضرًّا ولا نَفْعًا ولا غيًّا ولا رشدًا، فهو رسولٌ مبلّغ لما يأمره اللهُ بتبليغه، وأنّ المالكَ المتصرف في الكون هو الله وحده؛ أكّد هذا المعنى ببيان عجزه عن شؤون نفسه، فقال: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾[1]، ولمّا كان قولُه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ كلامًا مُتضمِّنًا أنَّهم أشْرَكوا، وعانَدوا الرَّسولَ ﷺ حينَ دَعاهم إلى التَّوحيدِ، واقتَرَحوا عليه ما تَوهَّموه - تَعجيزًا له - مِن ضُروبِ الاقتراحِ؛ أُعقِبَ ذلك بتَهْديدِهم ووَعيدِهم بأنَّهم إن داموا على عِصيانِ اللهِ ورَسولِه سيَلْقَون نارَ جهنَّمَ؛ لأنَّ كلَّ مَن يَعْصي اللهَ ورسولَه كانت له نارُ جهنَّمَ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُجِيرَنِي﴾: من الجِوار، وهو الكونُ بالقرب، وأصْلُ الجِوارِ: المَيْلُ[3]، وأُخِذَ منه الجارُ؛ لأنّه يميلُ إلى جاره بالحقّ والفضلِ بسبب القرب، وأجارَ الرجلَ: منعه من أنْ يُظلَم، والجارُ والمُجيرُ: هوَ الَّذي يَمْنَعُكَ، ويُجْيرُك، ومن حقوقِ الجيرَة المجاورةُ والإجارةُ في معنى الحماية، وأجارَهُ اللّه مِنَ العَذابِ: أنقذه[4]، ومعنى قوله: ﴿لَن يُجِيرَنِي﴾: لن ينقذني من عذابِ اللّه أحدٌ؛ إنْ عصيته[5].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 46.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 245.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جَوَرَ).
(4) ابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (جور).
(5) الصابوني، صفوة التفاسير: 3/ 437.

2) ﴿مُلْتَحَدًا﴾: أصلُ (لحد) يَدُلُّ عَلَى مَيْلٍ عَنِ استِقامَةٍ، يُقالُ: ألحَدَ الرَّجُلُ؛ إذا مالَ عَن طَريقَةِ الحَقِّ والإيمانِ[1]، ولَحَدَ إلى الشَّيءِ يَلْحَدُ والتَحَدَ: مالَ، والتحدَ الشَّخْصُ إلى اللّه: مالَ، والتجأ إليه، واعتمدَ عليه، والمُلْتَحَدُ: المَلْجَأُ لأن اللّاجِئَ يَميلُ إليه[2]، معدلًا ونصيرًا وملجأ ألجأ إليه[3]، ومعنى ﴿مُلْتَحَدًا﴾ هنا موافق للمعنى اللغوي، أي: لن أجد من دون اللّه مكانًا يعصمني وملجأً ألجأ إليه[4].

3) ﴿بَلَٰغًا﴾: أصلُ (بلغ) هو الوصولُ إلى الشيء[5]، والإبلاغُ والتّبليغُ: الإيصالُ، وتَبَلَّغَ بِالشَّيْءِ: وصَلَ إلى مُرادِه، والبَلاغُ: الكفايةُ، والانتهاءُ إلى أقصى المقصدِ والمنتهى[6]، وبلَّغَ النّاسَ بالخبر: أوْصله إليهم، وأعْلَمهم به، وأنهاه إليهم[7]، ومعنى ﴿بَلَٰغًا﴾ في الآية موافقٌ للمعنى اللغوي، والمعنى: لا أجدُ ملجأً يخلّصني من العذاب إلا إذا بلّغتُ رسالةَ ربي التي أوجبَ أداءها عليَّ، ونصحتكم، وأرشدتكم كما أمرني اللّه[8].

4) ﴿يَعْصِ﴾: جذرُ الكلمةِ هو (عصو)، عَصَى يَعصي عِصيانًا؛ إذا خرجَ عنِ الطّاعةِ، قالَ تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه: 121]، والعاصي: اسمُ الفصيلِ خاصَّةً؛ إذا عصى أمَّه في اتِّباعها[9]، يقالُ: عَصا؛ إذا صَلُبَ، واشتدَّ، واستعصى عليه الشَّيءُ: اشتدَّ، ومن هذا جاء العِصيانُ، فأصلهُ الصَّلابةُ وعدمُ الانثناءِ أو الانقياد[10]، ومعنى ﴿يَعْصِ﴾ في الآية موافقٌ للمعنى اللغوي، أي: عدمُ الطاعة، وتكذيبُ اللّه ورسوله، فلم يؤمن بلقاء اللّه، وأعرضَ عن سماعِ الآيات وتدبّر الرسالات[11].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لحد).
(2) ابن منظور، لسان العرب، وأحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (لحد).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 670، ودروزة، التفسير الحديث: 3/ 16، والصابوني، صفوة التفاسير: 3/ 437.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 670، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 244.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بلغ).
(6) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (بلغ).
(7) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (بلغ).
(8) الصابوني، صفوة التفاسير: 3/ 437.
(9) الخليل، العين: (عصو)، والرّاغب، المفردات: (عصا).
(10) جبل، المعجم الاشتقاقي: (عصا).
(11) الصابوني، صفوة التفاسير: 3/ 437.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أمرٌ للنبي بإظهار استسلامه لله أمـامَ قـومـه، وبـيـانـه بـأنّ مهمّته التبليغُ والإنذار

قُلْ يا محمَّدُ لمشركي العرب: إنّي لن يُنقِذَني مِن اللهِ أحدٌ من خلقه؛ إنْ أراد أنْ يُصيبَني بضُرٍّ، ولا ينصرني منه ناصر، ولن أجِدَ مِن دونِ اللهِ مَلجَأً ألجَأُ إليه، وقل لهم: إني لا أملكُ لكم ضرًّا ولا رشدًا إلا أنْ أبلّغكم من الله ما أمرني بتبليغكم إيّاه، وإلا رسالاته التي أرسلني بها إليكم، فأمّا الرشدُ والخذلان؛ فبيدِ الله، هو مالكه دون سائر خلقه، يهدي من يشاء، ويخذلُ من أراد، ومن يعصِ اللهَ فيما أمره، ونهاه، ويكذّب به وبرسوله، فيجحد رسالاته؛ فإنّ له نارَ جهنم يصلاها ماكثًا فيها أبدًا إلى غير نهاية[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الاستئناف في قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي﴾:

تـأكـيـدُ عـجـزِ النَّبيّ يُبرزُ توكّله الكامل على الله

هذه الآيةُ: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ جاءتْ معترضةً بين المستثنى منه: وهو قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾، والمستثنى: وهو قوله: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾؛ لتأكيدِ نفي النبي ﷺ الاستطاعةَ عنْ نفسه في أنْ يملكَ للمشركين ضرًّا ولا نفعًا ولا غيًّا ولا رشدًا، وبيانِ عجزِه عن حماية نفسه إلا بإرادة الله، بما يُبرز توكّله الكامل، ويُقطعُ الشكّ عن قدرته الذاتية، ممّا يزيد من وضوحِ الرسالة وصدقها[2].

سرُّ إعادةِ جملةِ: ﴿قُلْ إِنِّي﴾ مع سبق ذكرها:

في الإطـنـابِ تأكيدٌ للرسالةِ النبويّةِ

أطنبَ البيانُ الحكيمُ بتكرارِ جملةِ: ﴿قُلْ إِنِّي﴾؛ لإظهارِ تأكيدِ كون النبيّ ﷺ رسولًا مبلغًا عن الله ما يأمره أنْ يبلغه، ولملاءمة المعنى العميق الذي تتضمّنه الآيات.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 669 - 671.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 631.

دلالة نفي المضارع ﴿يُجِيرَنِي﴾ بـ﴿لَن﴾:

حتمية عجز النبي وبشريته أمام القدرة الإلهية

عبّر البيانُ القرآنيُّ بحرف النفي ﴿لَن﴾، وكرّره في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾؛ ليزيدَ في تأكيد عجزه وبشريته أمامَ قدرة خالقه[1]؛ إذ أكد النفي بـ﴿لَن﴾، فلا مجالَ للشكّ أو الاحتمال في النجاة، وجاءتِ المضارعة لتفيدَ استمرار هذا العجز، وتكرارُ (لن) في الجملتين يعزّز الإحساس بالاستحالة، وأنّ النجاةَ مستبعدةٌ، ولا ملجأ سوى اللّه، وهذا فيه مبالغةٌ في تقريرِ وحدانيةِ اللّهِ ﷻ، فلنْ يجدَ مكانًا يَعصِمُه غيرَ داخلٍ في مَلكوتِه.

فائدة تقديم شبه الجملة: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾:

اختصاصُ الاستعاذةِ باللّه وحده دون سواه

قدّمَ البيانُ القرآنيُّ الجار والمجرور ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ على الفاعل ﴿أَحَدٌ﴾؛ اهتمامًا بالمقدّم، وهو اللّه سبحانه الذي له الأمرُ كلّه، ولا أمرَ لأحدٍ معه؛ إذ التركيزُ في سياقِ الكلام عليه؛ ولإفادةِ اختصاص الاستعاذة باللّه وحده دون سواه.

سرُّ التّعبير بالاسم الجليل ﴿ٱللَّهِ﴾:

مناسبةُ الاسمِ الجليلِ لمقامِ الهيبة وتقريرِ التوحيد

آثرَ البيانُ الإلهيُّ التّعبيرَ بالاسمِ الجليلِ ﴿ٱللَّهِ﴾، الجامعِ لصفات الكمال والجلال دونَ لفظ (الرّب)؛ لتربيةِ المهابة في النّفوس وإثارةِ الرهبة والخضوع، ولمناسبته لمقامِ تعظيم اللّه وتقرير وحدانيته، فهو الذي له الأمرُ كلّه ولا أمرَ لأحدٍ معه[2].

نكتة تنكير لفظ ﴿أَحَدٌ﴾:

التّعبيرُ بلفظِ ﴿أَحَدٌ﴾ المسبوق بالنفي أفادَ العمومَ، والمعنى: لنْ يدفعَ عني السوءَ أحدٌ كائنًا من كان؛ إنْ أراده اللّهُ لي[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 495.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 495.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 495.

دلالةُ العطف في قوله: ﴿وَلَنْ أَجِدَ﴾:

الجمعُ بين نفي قدرةِ الآخرين على الإنقاذ، ونفي القدرةِ الذاتية على اللجوء

أفادَ عطفُ قوله تعالى: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ على قوله: ﴿لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾: المشاركةَ في تَأْكيدِ نفْيِ استِطاعته ﷺ عن امتلاك الإضرارِ والإضلال، فهو بيد الله، وبَيانِ عَجْزِه عن ذلك؛ لأنّ نفيهُ بأن لن يُنقذه أحدٌ لا ينفي أنْ ينقذ نفسه بمكانٍ يلجأ إليه، فجَمَعَ بين نفي قدرة الآخرين على الإنقاذ، ونفي القدرة الذاتية على اللجوء إلى ملاذٍ بديلٍ؛ ليُظهرَ أنّ كلّ الأمرِ في يدِ الله وحده، وأنّ النبي ﷺ في ذلك لا حولَ له ولا قوةَ إلا بالله.

دلالة التعبير بالفعل ﴿أَجِدَ﴾ مادة وصيغة:

مبالغةٌ في انتفاءِ الملاذ إلا بتبليغِ رسالة الله

آثرَ البيانُ القرآنيُّ مادة (وجد)، في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾؛ للدلالةِ على المبالغةِ في انتفاءِ الملاذ، أي: لنْ أعثرَ، أو أصِلَ، أو أتوصّلَ إلى ملجأ أو ملاذ، مهما بحثتُ إلا أن أُبلّغَ عنه ما أرسلني به، أو الدلالة على المبالغةِ في تأكيدِ عجزِ النَّبي أمامَ القدرةِ الإلهيةِ؛ لأنّ مادّةَ (وَجَدَ) تعني العثورَ على الشَّيء بعد طلبٍ أو بحثٍ واجتهاد، وتفيدُ صيغةُ المضارعةُ أنّ نفيَ العثور على الملجأ والملاذ متجدّدٌ ودائمٌ بما يدل على العجزِ التام عن إيجادِ الملجأ من دون الله.

معنى ﴿مِن﴾:

تأكيدُ تفاهةِ كلّ ما يُلجأ إليه سوى الله تعالى

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ إمّا للتأكيد، إنْ كانت (دون) بمعنى غير، والمعنى: لنْ أجدَ غير الله ملتحدًا[1]، أو ابتدائيّة، إنْ كانت (دون) اسمًا للمكانِ المُباعِد، والمعنى: لن أجدَ ملتحَدًا بعيدًا عن الله غيرَ داخل في ملكوته[2]، أو هي مُستعارةٌ لمعنى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 244.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 244.

الخسّة والحقارة[1]، والمعنى: لن أجدَ ملتحدًا في جهة حقيرةٍ لا تليقُ بالاحتماء بها؛ إشارةً إلى تفاهةِ كلّ ما يُلجأ إليه سوى الله تعالى.

دلالةُ التَّعبيرِ بقوله: ﴿دُونِهِۦ﴾:

كـلُّ الرتـب هي دون رتبته ﷻ

استعملَ البيانُ الحكيمُ لفظَ ﴿دُونِهِۦ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾؛ لأنّه يفيدُ الدونية والاحتقار لمن يُذكر بـ(دون الله)، أي: إنَّ ما عدا الله هو أدنى وأقلّ منزلة، فكلُّ رتبةٍ دون رتبته، والرتبُ التي دون رتبته كثيرة جدًّا؛ لما له من العلوّ المطلق، ولغيره من مراتبِ السُّفول التي لا تُحدّ[2]، وفي هذا التعبير وإضافته إلى ضمير الاسم الجليل إبرازٌ لعظمةِ الله وتميُّزه على كلّ ما سواه، وأنّه لا ملجأ ولا حمايةَ إلا به وحده، وتحقيرٌ لمعبودات المشركين، وزيادةُ تبكيتٍ لهم.

سرُّ إيثار الإضمار دون الإظهار في قوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾:

تـفـادي التـكـرار يـحـافـظُ عـلى الإيـقـاعِ، ويـركّـزُ على المضمون

أضمرَ البيانُ القرآنيُّ الاسمَ الجليل، ولم يُظهره، في قوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾؛ للاختصار وتفادي التكرار، بما يحافظُ على الإيقاعِ والنغمة، فقد سبقَ في الجملة المعطوف عليها، وللتركيز على المقصود، وهو تأكيدُ عجزه ﷺ دون إطالة.

سرُّ تقديم ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ على المفعول ﴿مُلْتَحَدًا﴾:

في تأكيدِ القصرِ إظـهـارٌ لعظمةِ الله ﷻ

قدّمَ البيانُ القرآنيُّ الجار والمجرور ﴿مِن دُونِهِۦ﴾؛ للتأكيد على القصر، أي: إنَّه لا ملجأ أبدًا إلا بالله وحده، وذلك لرفعِ مكانة اسم الجلالة وتعظيمه، وإظهارِ عظمة الله ﷻ، مع بيان أنّ ما سوى الله لا يُرتجى منه نفعٌ أو عون.

دلالة التعبير بـ﴿مُلْتَحَدًا﴾:

المبالغةُ في نفي العياذِ بغير الله سبحانه

جذرُ لفظِ ﴿مُلْتَحَدًا﴾ هو (لحد)، ومعناهُ الميلُ والانحرافُ إلى شيءٍ، فاللحدُ هو المكانُ المائل في القبر، أمّا الملتَحَدُ؛ فهو اسمُ مكان

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 496.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 496.

الالتحاد، والالتحادُ هو المبالغة في اللحد، أي: العدول والانحراف إلى مكانٍ غير المكان الأصلي، وغالبًا ما يُقصدُ به اللجوء والعياذ بمكان يعصم الإنسان عند الشدائد، والمعنى في الآية: لن أجدَ مكانًا يعصمني مهما اجتهدت[1]؛ لأنّ (ألحَدَ) يعني: جادل، وماری، وركن[2]، وهو تعبيرٌ أبلغُ من القول: ولن أجد من دون الله مالكا.

نكتة تنكير لفظ ﴿مُلْتَحَدًا﴾:

نكّرَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ ﴿مُلْتَحَدًا﴾؛ لإفادةِ عموم النفي، أي: لا أجدُ أيّ نوعٍ من أنواع الملاذاتِ أو موضع ميلٍ وركون ومدخلًا وملتجأ وحيلة[3]، ولإفادة التحقيرِ والتقليل، أي: لا أجدُ أدنى ملتجأ، ولا حتى ملتحدًا تافهًا أو ضعيفًا يمكنُ الاحتماء بها غير الله.

لا ملجأ وإن كان تافهًا يمكنُ الاحتماء بها غير الله

بلاغة الاستثناء:

﴿إِلَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾، إمّا استثناءٌ من قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ﴾، فإنَّ التبليغَ إرشادٌ ونفعٌ، وما بينهما اعتراضٌ مؤكِّدٌ لنفي الاستطاعة، والمراد بالاستثناء قصرُ قدرةِ النبيّ ﷺ على الإبلاغ دونَ الهدايةِ أو الإغواء، أي: لا أملكُ شيئًا من الضّرِّ أو النفع إلا أنْ أبلّغ رسالة ربي[4]، وفائدته: مبالغةُ النبي ﷺ في توصيفِ نفسه بالتبليغ؛ لدلالته على أنّه لا يدعُ التبليغ الذي يستطيعه لتظاهرهم على عداوته[5]، أو هو استثناءٌ من قوله: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾، أي: لنْ أجدَ من دونه ملتجأً إلا أنْ أُبلّغَ عنه ما أرسلني به، أو هي مركّبةٌ من (إن) الشرطية و(لا) النافية، والجوابُ محذوفٌ لدلالة ما قبلَهُ عليهِ، والمعنى: إنْ لا أبلِّغْ بلاغًا من الله؛ فلن أجدَ من دونه ملتحدًا[6].

قصرُ قدرةِ النبيّ ﷺ ونجاته على الإبلاغِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 244.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 496.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 496.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 244.
(5) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 313.
(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 47.

نكتة تنكير لفظ ﴿بَلَٰغًا﴾:

تعظيمُ ما أُمِرَ النبي ﷺ بتبليغه وشمولُه

تنكيرُ ﴿بَلَٰغًا﴾؛ للإشارةِ إلى عظمةِ نوعِه وعمومه؛ إذ جاء في سياق النفي؛ ليؤكّد أنّ ما أملكه من التبليغ عظيمٌ ومقدّسٌ في حقيقته؛ لأنّه تبليغٌ خاصٌّ من الله، وليس تبليغًا عاديًّا، وهو شاملٌ لكل الناس دون استثناء، ممن هم أهل أنْ يُبلّغوا، ويشمل كلّ ما أوحي إليّ به، بمعنى آخر: لن يجيرني من الله أحدٌ؛ إنْ لم أبلّغْ بلاغًا عظيمًا وعامًّا.

معنى ﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾:

مصدرُ البلاغ وحيٌ إلهيٌّ خالص، لا يملك النبيّ إلا تبليغه

﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ابتدائيةٌ، والجار والمجرور صفةُ ﴿بَلَٰغًا﴾، أي: إنَّ هذا البلاغ الذي أُبلِّغه لا يصدرُ عن نفسي، بل يبدأ من الله، وينطلقُ من عنده، فهو وحيٌ إلهيٌّ خالص، لا دخلَ لي فيه، ولا أملكُ إلا تبليغه[1].

سر التعبير باسم الجلالة: ﴿ٱللَّهِ﴾:

البلاغُ الصادرُ عن العظيم لا يكونُ إلا عظيمًا

آثرَ البيانُ الحكيمُ التَّعبير بالاسم الجليل ﴿ٱللَّهِ﴾ الجامعِ لصفات الجلال والكمال؛ تعظيمًا لهذا البلاغ، وتربيةً للنفوسِ على تعظيمه، فهو بلاغٌ صادرٌ عن الله الذي أحاطَ بكلّ شيء قدرة وعلمًا، والذي من سعةِ رحمته أنّه لا يأخذُ أحدًا إلا بحجّة يعترفون بأنّها حجة[2].

وجه العطف بالواو، وتقديم البلاغ عليه:

عطفٌ يرفعُ من قيمةِ البلاغ، ويُظهرُ عظمته

قوله: ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ معطوفٌ على ﴿بَلَٰغًا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ بتقدير مضاف محذوفٍ اختصارًا، والمعنى: لا أملكُ لكم إلّا تبليغًا كائنًا منه تعالى وتبليغ رسالاته التي أرسلني بها[3]، وبلاغةُ العطف تكمنُ في التَّوكيد والتفصيل؛ إذ

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 313.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 496.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 313.

يوضّحُ العطف، ويؤكّد أنّ ما يملكه النبي ﷺ ليس فقط تبليغًا عامًّا، بل هو تبليغُ رسالاتٍ محدّدة ومُنزلة من عند الله، بما يرفعُ من قيمةِ البلاغ، ويُظهر عظمته، وقد قدّمَ البيانُ البلاغَ على الرسالة مراعاةً للرتبة؛ فالبلاغةُ الأولى هي الأعلى، ثم تليها الرسالة التي أوحي بها بوساطة الملك[1].

سرُّ جمع الرسالات:

تأكيدٌ على شموليةِ البلاغ القرآني وعظمته

عبّر البيانُ الحكيمُ عن القرآنِ بالرسالة وبصيغة الجمع لا الإفراد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾، فلم يقلْ: إلا بلاغًا من الله ورسالته؛ باعتبارِ تعدّد ما أُرسلَ به النبي ﷺ من العقائد والشرائع بأنواعها والأخلاق، ومن الأوامر والنّواهي والأخبار والقصص والأمثال والوعد والوعيد والترغيب والترهيب وغير ذلك[2]، وللتأكيد على شمولِ البلاغ، وأنّه ليس شيئًا واحدًا، وعلى أهميّة ما أوحي به وعظمته من هذه الرسالة العظيمة، التي هيمنت على الرسائل السماوية السابقة.

دلالة الاستئناف بالواو في قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ﴾:

التحذيرُ من مخالفة الله ورسوله جزءٌ من أمورٍ بلّغها رسول الله

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ استئنافية[3]، تأتي استكمالًا لِما سبقها، وتؤكّد أنّ مخالفة الله ورسوله ليستْ موقفًا معزولًا، بل جزءًا من سلسلة الأحكام الإلهية التي بلّغها رسولُ الله، التي توضّح الجزاء والعقاب.

بلاغةُ التّعبير بالجملة الشرطية:

ترتُّبُ الجزاءِ بالنار على مخالفةِ الله ورسوله أمرٌ حتميٌّ

التّعبيرُ بالجملةِ الشرطيّة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أسلوبٌ موجزٌ مؤثرٌ، يفيدُ ارتباطَ العصيانِ بالعقابِ بشكلٍ حاسمٍ ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 496.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 313.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 248.

وهذا الرَّبطُ يُشعرُ المستمعَ أو القارئ بأنَّ هناك عقابًا حتميًّا على العصيان، مما يزيدُ من ثِقَلِ الأمرِ.

سرُّ التّعبير بـ(مَنْ):

التعميمُ والترتيبُ الشرطي للعقاب

إيثارُ لفظ (مَنْ) دون (الذي)، ولم يقلْ: والذي يعصي الله؛ لكون (مَنْ) شرطيّة رتّبتِ الجزاءَ بالنار على مخالفةِ اللّهِ ورسولِه، وتفيدُ تعميمَ هذا الحكم على كلِّ مَنْ يقع في فِعْل العصيان، دون استثناء، أي: إنَّ كلَّ من يعصي الله ورسوله يقعُ تحتَ هذا الحكم، فلا مجالَ للتمييز أو الاستثناء.

سرُّ التعبير بالمعصية في الآية:

استمرارٌ في رفضِ الشِّركِ وتقريرِ التوحيد

المرادُ بالمعصية في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ هو الشركُ والكفر؛ تناسبًا مع محورِ السورة، وهي وحدةٌ متجانسةٌ وكلّها تدور حول محور التوحيد ورفض الشّرك، فقد حكى الله قولَ الجن: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾، وحكى قول نبيّه: ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾، وحذف متعلّق فعل المعصية؛ ليشملَ الشرك بجميع أشكاله وحالاته.

دلالة التعبير بالفعل ﴿يَعْصِ﴾ مضارعًا:

حكمُ اللهِ بالخلود في النّار لمن استمرَّ ومات على كفره

جاء فعل ﴿يَعْصِ﴾ بصيغة المضارع؛ لإفادة أنّ حكمَ الله بالخلود في النّار هو لمن يستمرّ في كفره إلى أنْ تخرجَ روحه، ويخرجَ من دنيا التكليف، وهذا الاستمرار يوازي ما يستحقّه من هذا العذاب الأبدي.

دلالة التعبير باسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾:

تأكيدٌ لمقامِ الهيبة والتّخويف من المعصية

التّعبيرُ بالاسمِ الجليل ﴿ٱللَّهَ﴾ في قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ لمناسبته مقامَ الهيبة والتخويف من المعصية ببيان جزائها المخيف، وهو الخلود في نار جهنم، والمعنى: ومن يعصِ الله الذي له العظمة كلّها، فإنّ له خاصةً نارَ جهنم التي تلقاه بالعبوسة والغيظ[1].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 497.

دلالةُ عطْف ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ على اسم الجلالة:

في عطْفِ الطاعةِ تشريفُ الرّسالةِ وتوكيدُ التّبليغ

عَطَفَ النَّظمُ الحَكيمُ طاعةَ الرّسولِ على طاعَةِ اللّه؛ لِبَيانِ أنَّ اللّه قد شَرَّفَ رُسلَهُ، فجعل لهم مَنْزِلَةً عَظيمَةً من منزلته، حَتَّى كان مَنْ عصاهم كَأنَّما عصاهُ، فيكون جزاءُ من عصاهُم كجزاءِ مَنْ عَصاهُ، لأنَّهُم لا يَنطِقونَ إلّا بِوَحْيِهِ[1]، ولأنَّ السِّياقَ في سورَةِ الجنِّ يأتي في مَقامِ تَعْظيمِ الرِّسالَةِ وتَأْكيدِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ مُبَلِّغٌ عن رَبِّهِ، وذَلِكَ بِتَكرارِ الأمْرِ بِـ ﴿قُلْ﴾.

سرُّ التَّعبير بلفظ الرسالة مضافًا:

إبـرازٌ للتكليف وتـأكـيـدٌ على وحدة الطاعة

اختيرَ لفظُ (رَسولَه) بدلًا من (نَبيِّهِ)؛ لإبرازِ جانبِ التبليغ والتكليف بالطاعة؛ إذ يُشيرُ (الرسول) إلى حاملِ الرسالة التي يجب امتثالها، لا سيّما وأنّ المقامَ هنا مقامُ إنذارٍ وتحذيرٍ من المعصية، فضلًا عن أنّ لفظ (الرسول) يتناسقُ مع تكرار ذكر (الرسالة) في السورة، في قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ و﴿ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ و﴿أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾.

وإضافةُ ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ إلى الاسم الجليل فيها تشريفٌ للنبيّ ﷺ وتسليةٌ له، بإظهارِ أنَّ طاعتَهُ ليستِ استقلالًا، بل هي فرعٌ عن طاعةِ اللّه، فلا يُفصل بينهما.

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَإِنَّ﴾:

الـشـركُ سببٌ في استحقاقِ العذابِ الأبدي في النار

دلّتِ الفاءُ الرابطة للجواب في الآية على أنّ الجزاءَ مترتّبٌ مباشرة على تحقُّق الشرط، أي: إنَّ العقوبةَ فوريةٌ ولا تَباطُؤ فيها، وفيها معنى السببية، فالعصيانُ بالكفر والشرك سببٌ في استحقاقِ الكافرين العذابَ الأبدي في النار.

دلالة التأكيد بـ(إنّ) واسمية الجملة:

في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أكّدَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 497.

البيانُ القرآنيُّ الحكمَ الإلهيَّ على الكافر بخلودِه في جهنم، وذلك باستعمال (إنَّ) التي تفيدُ توكيدَ النسبة، وبالجملة الاسمية التي تدلُّ على الثبوتِ والاستمرار، في إشارةٍ إلى أنّ هذا الجزاءَ حتميٌّ لازمٌ لا يتغيّر.

الجزاءُ حتميٌّ لازمٌ لا يتغيّر

سرّ تقديم شبه الجملة ﴿لَهُۥ﴾:

قدَّم البيانُ الإلهيُّ الجارَّ والمجرورَ ﴿لَهُۥ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ لإفادة الاختصاص، أي: إنَّ نارَ جهنم صارتْ له خاصة، فهو أحقُّ بها جزاءً على كفره[1].

سرُّ إيثار وصْف جهنم دون غيره:

التَّعبيرُ بجَهَنَّمَ دونَ غيره مِن أوصافِ النّارِ، فيهِ مُبالَغَةٌ في العَذابِ لِمَن يُصِرُّ، ويَسْتَمِرُّ على الكفرِ باللّهِ الَّذي لَهُ العَظَمَةُ كُلُّها، وبِرَسولِهِ الَّذي خَتَمَ اللّهُ بِهِ النُّبوَّةَ والرِّسالَةَ، بِأنْ تَلْقاهُ جَهَنَّمُ بالعُبوسَةِ والغَيْظِ، وهي التي تشملُ كُلَّ ما وُصِفَتْ به النّارُ في القرآن الكريم.

مُبالَغَةٌ في العَذابِ لِمَن يُصِرُّ، ويَسْتَمِرُّ على الكفرِ

دلالةُ إفرادِ (مَنْ) وجمع ﴿خَٰلِدِينَ﴾:

بدأ التّعبيرُ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ بلفظِ المفردِ، ثم جاءَ لفظُ ﴿خَٰلِدِينَ﴾ بصيغةِ الجمعِ دون الإفراد، فلمْ يقل: (خالدًا)؛ حملًا على معنى الجمع في ﴿وَمَن﴾[2]، والحكمةُ في الإفراد هنا إظهارُ مسؤولية الفرد على كفره، فالقرارُ قراره، وهو يتحمَّلُ مسؤوليته، أمّا الجمعُ؛ فهو لإظهار أنّ العقابَ يشملُ كلّ الكفار، أي: جماعتهم، وللدلالة على عمومِ الذلّ[3].

في الإفرادِ إلماحٌ بالمسؤوليةِ الفرديةِ وفي الجمعِ إشارةٌ بشمولية العقاب

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 497.
(2) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 420، والزمخشري، الكشاف: 4/ 632.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 497.

دلالة التعبير بالظرفية (في):

مبالغةٌ في بيانِ شـدّة عـذابِ الكافرين بالنار

إيثار حرف الظرفية (في) يدلُّ على أنّ الخلودَ حاصلٌ داخلَ النار نفسها، لا حولها ولا بالقرب منها، وإلى أنّ الإنسانَ منغمسٌ في النار، ومحاطٌ تمامًا بالعذاب، لا مهربَ ولا مفرَّ منها، وفي هذا مبالغةٌ في بيانِ شدةِ عذاب الكافرين باللّه ورسوله.

دلالة التعبير بلفظ ﴿أَبَدًا﴾:

نهايةٌ لا رجعةَ بعدها، قطعٌ تامٌّ لا نهايةَ له

أطنبَ البيانُ الحكيمُ بذكرِ لفظ ﴿أَبَدًا﴾ فاصلةً للآيةِ؛ للتأكيدِ والتحقيق على الخلودِ النهائي للكافرين في النّار والقطعِ المطلق عن الرّجعة، وذلك لقولِ من يدّعي الانقطاع[1]، وفيها إشارةٌ إلى النّفي المطلق لزوال النار، أمّا (دائمًا)؛ فتدلُّ على استمرارٍ زمني، ولكن لا تدلّ على أزليّة العذاب، ولذا فلفظ الأبدية أبلغُ وأنسبُ للخلود في النار، ولما ورد في الآيات السابقة التي بيّنت حالَ المشركين الذين أشركوا، وعاندوا الرسول ﷺ، حينَ دَعاهُمْ إلَى التوحيد، وعليه ما تَوَهَّموهُ تعجيزًا له مِنْ ضروبِ الاقتراح[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإجارة والمنع:

المنـعُ أعـمُّ من الإجـارة التي تختصُّ بالإنقاذِ من الضرر

(يجيرُ) أخصّ من (يمنع)، فالإجارةُ تتميّز بمعنى الميل والقرب[3]، والحماية والإنقاذ من الضرر[4]، أمّا المنعُ؛ فأعمّ وأشمل، فهو خلافُ الإعطاء، فالمَنْعُ: أن تَحولَ بَيْنَ الرَّجُلِ، وبَيْنَ الشَّيْءِ الَّذي يُريدُهُ، ويُستعملُ للخير والشرّ[5]، ومن هنا كان استعمالُ لفظ يجيرني أنسبَ مع السياق الذي يتحدّثُ عن نفي استطاعة أيّ أحدٍ أنْ ينقذ أحدًا من عذابِ اللّه؛ إنْ عصاه.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 497.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 245.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جَوَرَ).
(4) ابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل المعجم الاشتقاقي: (جور).
(5) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 112، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (منع).

الخلود والمكث:

العذابُ الأبديّ المستمرّ هو ما يليقُ بوعيدِ الله للخارجين عن طاعته

الخلودُ هو المكثُ الطويل، واستمرارُ البقاء والتأبيد، ومن معانيه الثباتُ المديد، والملازمةُ على حالةٍ ثابتةٍ من غير طروءِ التغيير، وهو تبرّي الشَّيءِ مِن اعتراضِ الفساد[1]، أمّا المكثُ؛ فهو الإقامةُ والانتِظارُ والتَّلَبُّثُ في المَكانِ زَمَنًا كالمقيم الثابت[2]، وقد استعملَ القرآنُ لفظَ الخلود هنا؛ لكونه أنسبَ وأبلغَ في التّخويف مع السياق الذي يتحدّث عن العذاب الأبدي، الذي لا نهايةَ له ولا انقطاع، والذي أعدّهُ اللّهُ للكافرين الخارجين عن طاعةِ الله، فينقطع عندهم أيُّ توهُّم أو أملٍ في الخروج من جهنم.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 239، وابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (خلد).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (مكث).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"